

الشعر العربي بلسان الإيراني أصفهاني بواسطة admin



بقلم : الشاعر والباحث منير مزيد

الشعر في العربية الأولى، وأكبر فنون القول

هيمنة على التاريخ الأدبي عند العرب

مقارنة بالخطابة والنثر والسرد ولعل هذا ما عناه ابن عباس في مقولته الشهيرة " الشعر ديوان العرب "

للدلالة على أهمية الشعر عند العرب وتمجيد ما أبدعه الإنسان من الشعر، خاصة أنه حافظ لتاريخ العرب

وأيامها وعلومها المختلفة ويعتد وثيقة يمكن الاعتماد عليها في التعرف على أحوال العرب وبيئاتهم

وثقافتهم وتاريخهم دون إخراجهم من دائرة الفن إلى دائرة أخرى.

هذه المقولة كرهها الكثير من

النقاد القدماء وأكدوا سلطتها حين قالوا " ((كان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم، ومنتهى حكمهم، به

يأخذون، وإليه يصيرون)) ابن سلام طبقات فحول الشعراء . ((الشعر معدن علم العرب، وسفر حكمته، وديوان

أخبارها، ومستودع أيامها)) ابن قتيبة، عيون الأخبار. ((الشعر ديوان العرب، وخزانة حكمته، ومستنبط

آدابها، ومستودع علومها)) العسكري، كتاب الصناعات. ((الشعر ديوان العرب، به حفظت الأنساب، وعرفت

المآثر، وتعلمت اللغة)) ابن فارس الصحاح.

يتميز الشعر العربي عبر عصوره المتلاحقة بعلاقة

الإبداع الشعري بالموسيقى من خلال الإيقاع الشعري وبكونه من مجموعة أبيات، كل بيت منها يتألف من

مقطعيه يدعى أولهما الصدر وثانيهما العجز وهذا النوع من البناء عرف بالشعر العمودي .

كان

الشعر العمودي هو الأساس المعتمد للتفريق بين الشعر والنثر بحيث يخضع في كتابته لقواعد الخليل بن أحمد الفراهيدي وهذه القواعد تدعى علم العروض. ويعرف علم العروض بأنه علم بمعرفة أوزان الشعر العربي، أو هو علم أوزان الشعر الموافق أشعار العرب. مما حدا بالبعض فيما بعد لتنظيم العلوم المختلفة المستجدة في قوالب عمود الشعر، كألفية بن مالك وغيرها، وذلك استغلالا لما تألفه الأذن العربية من الإيقاع المنتظم، مما يجعل تلك المنظومات أسهل للحفظ والاسترجاع من الذاكرة، ولكنها بذلك، ولذلك بالتحديد، خرجت من دائرة الشعر إلى دائرة النظم، أي إنها افتقدت الفاعلية الجمالية التي تميز الشعر عبر أدواته المختلفة، التي لم يكن عمود الشعر إلا مظهرها من مظاهر الشكل الفني غير جوهرية وبهذا فقدت روح الشعر مع أن المعلقات قصائد عمودية نظمت بأوزان الشعر العربي دون أن تفقد روح الشعر وجمالياته الإبداعية بأبعاده الفنية والفلسفية والتي تعد أشهر ما كتبه العرب في الشعر، وقد قيل أنها سميت معلقات لأنها كانت تعلق في أطراف الكعبة لشعرتها وكتبت بماء الذهب وقيل أيضا أنها معلقات لأنها مثل العقود النفيسة تعلق بالأزهار.

للتفريق بين الشعر والنظم جاء كتاب " فن الشعر " لأرسطو والذي يعد من أهم

الكتب النقدية والدراسات الأدبية في العالم، ليضع حدا فاصلا بين الشعر والنظم، مبينا فيه أنه لم

يكف في زمنه اصطلاح جامع تنطوي تحته جميع الأنواع التي تتخذ أداة المحاكاة سواء في النثر أو النظم،

والاستعمال الحديث لهذا المصطلح هو كلمة " أدب " ومنه الواضح تماما أن الوزن وحده ليس كافيا لتمييز

الشعر إذ ثمة رسائل في الطب وفي الفلسفة الطبيعية كتبت شعرا (وهذه الطريقة كانت الأكثر شيوعا عند

قدماء الإغريق من الوقت الحاضر كما شاعت عند العرب كما تم ذكره) حتى يسهل حفظها وبالتالي يسهل تذكرها

لأن عصر الطباعة والكتب لم يدخل بعد...

" ليس لدينا اسم تنطوي تحته مجونيات صوفرون واكزيار

خوسه ومحاورات سقراط أو القصائد الإليجية الخماسية والإليجية الرثائية أو بحور أخرى يؤدي بها فه الملحمة بطريقة المحاكاة، حقا جرت عادة الناس وفيما يتعلق بالشعر أو فيما يختص بالبحر، على أن يسموا البعض بالشعراء الإليجيين أي الذين ينظمون قصائدهم على البحر الإليجي ويسمون آخريه بالشعراء السداسيين ، أي الذين ينظمون شعرا سداسي التفاعيل، وبذلك تمايز الشعراء في عرف الناس ليس وفقا لطبيعة المحاكاة في أشعارهم ولكن على قاعدة الوزن وحده. حتى الذين ينظمون رسائلهم في الطب وفي الفلسفة الطبيعية يسمون شعراء، ومع ذلك فليس يبه هوميروس وامبذوقليس مع شراكة إلا في الوزن. والأول جدير باسم الشاعر والثاني جدير بأن يسمى طبيعيا لا شاعرا " ، وكان هوميروس لدى أرسطو شاعرا فحلا لا لأنه اضطلع في فخامة الديباجة الشعرية فحسب بل لأنه جعل محاكياته في شعره ذات طابع درامي".

فقدما ، لاحظ

أرسطو في النثر أنه قد يتوافر له نوح من الإيقاع كالشعر، وكثير من الكلام المنظوم لا يدخل في الشعر إذا خلا من الإيحاء ومنه التعبير عن تجربة وإذا لم تتوافر له قوة التصوير ووسائل الإيحاء . والشعر الحق عنده يتجلى في المأساة والملحمة والملهاة و يقرر بحزم أن الأعراب الشعرية لا تعتبر الحقيقة المميزة للشاعر، وأن المحاكاة لا الوزن هي التي تفرق بين الشعر والنثر.

بدأت بشائر النهضة الفنية في

الشعر العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، وبدأت خافئة وضيئلة الشأن وباعتبارها أصوات هامشية ، ثم أخذ عودها يقوى ويشد حتى اكتملت خلال القرن العشرين متبلورة في اتجاهات شعرية حددت مذهب الشعر العربي الحديث، ورصدت اتجاهاته ، مستفيدة من التراث العالمي آخذة ما يوافق القيم والتقاليد العربية الأصيلة رافضة بذلك مفهوم القصيدة كعملية تأليف أو تنظيم ، لتفتح آفاقا جديدة غير مسبوقه في تاريخ الشعر العربي وخاصة في انطلاقة " قصيدة النثر " التي أثبتت حضورا متميزا في

الساحة الشعرية العربية على الرغم من شدة المعارضة ضد المساس بما عرف بـ "عمود الشعر" وشكلت دافعا قويا لاستهداف التغيير وتشويهه إلا أن الشعر الحديث صمد أمام تيارات الرفض وبدأت هذه المعارضة تضعف وتتآكل رويدا رويدا أمام رغبة الأغلبية في حتمية التغيير والتحديث .

حيه أرسل لي الشاعر

الإيراني محمد خاقان أصفهاني ، أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية - جامعة أصفهان ، ديوانه الشعري لكتابة مقدمة له ، أصبت بالدهشة والذهول لكون القصائد كتبت بالعربية من شاعر إيراني وشعرت بأنني أقرأ أشعار البحتري وأبي تمام وابن رشيق القيرواني الأزدي والشريف المرتضى وأبي الفارض وأبو العتاهية والمتنبي وزهير بن أبي سلمى بالإضافة إلى تأثيرات الشعراء الإيرانيين من أمثال حافظ شيرازي والطار وعمر الخيام ومولانا جلال الدين الرومي والشاعر الباكستاني محمد به إقبال .

لقد أرسلني الشاعر

محمد خاقان أصفهاني أساسا لشعر يتناول معرفة العالم والوجود، ولكنها ليست معرفة علمية دقيقة أنها معرفة بالممكن إذ يفتح آفاقه على المستقبل في إعادة تشكيل الواقع لتهيئة النفس للدخول إلى عالم الخيال الحقيقي ، فبنى سقفا من الرؤى الصوفية مستندة على الموروث الديني باعتباره منهجا فله حياة ووسيلة للتصدي للظواهر السلبية وغرس القيم المثالية وتهذيب النفس فالإنسان روح وجسد متكامل . لهذا نجد أسلوب التناص وذلك باستحضار عبارات سواء بنصها أو بإعادة صياغة لها من القرآن الكريم ومنه أحاديث نبينا العظيم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ومنه أقوال الأمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) :

(وارجع) الأَبصار شاهد (هل ترى فيه) الفطور؟)

صل لاله □ ثم أنحر

إنا أعطينا □

ال □ وثر

وانشق القمر

يذكر الجرجاني تعريفا شاملا للإنسان بقوله: "الإنسان هو الحيوان

الناطق. والإنسان الكامل هو الجامع لجميع العوالم الإلهية ، والكونية الكلية ، والجزئية. وهو كتاب

جامع للكتب الإلهية والكونية، فمه حيث روحه وعقله كتاب عقلي مسمى بأمر الكتاب، ومه حيث قلبه كتاب اللوح

المحفوظ، ومه حيث نفسه كتاب المحو والإثبات، فهو الصحف المكممة المرفوعة المطهرة، التي لا يمسخها ولا

يدرك أسرارها إلا المطهرون مه الحجب الظلمانية. فنسبة العقل الأول إلى العالم الكبير وحقائقه بعينها

نسبة الروح الإنساني إلى البدن وقواه، وإن النفس الكلية قلب العالم الكبير كما أن النفس الناطقة قلب

الإنسان، وكذلك يسمى العالم بالإنسان الكبير"

وديوان الشاعر محمد خاقان أصفهاني ، كتاب جامع

لجميع العوالم الفكرية والبلاغية ، الكونية الكلية منها والجزئية ويظهر مدى ارتباط الشاعر الشديد

باللغة العربية وما تزخر بها من صور المجاز والاستعارة والتشبيه ، وسائر مسائل البيان والبيدج

والفصاحة وما تتسم بها أيضا من مزايا جمالية وبلاغية، لا تتوفر في أي لغة أخرى.

كيف لا.. وهي اللغة

التي كرمها الله باصطفائها دون اللغات لكي تصبح لغة كتابه المجيد

ولسان خاتم أنبيائه . (كتاب

فصلت □ آياته قر □ آنا عربيا لقو □ م يع □ لمون) (فصلت : ٣)

منیر مزید

بوخارست / رومانیہ